آيات الله والحكمة تتلى في بيوت النبي

آيا ت الله والحكمة

في بيوت النبي ﷺ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.[1]

الرَّسُول ﷺ يتلو على نسائه ما أنزل الله في شأنهن، وما أنزله الله

(1) الأحزاب: ٢٨- ٣٤.

في شأنهنَّ يُتْلَى على الناس جميعاً..

وفي ذلك دلالات لا تخفى على مَن أحسن التدبر:

أولاً: أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أمر رسولَه ﷺ بأن يُخَير نساءه بين أن يُفارقهُنَّ، فيذهبن إلى غيره ـ مِمَّن يحصل لهنَّ عنده الحياة الدنيا وزينتها ـ وبين الصبر على ما عنده من ضِيق الحال، وَلَهُنَّ عند الله ـ تعالى ـ الثواب الجزيل.

فَاخْتَرْنَ ـ رضي الله عنهنَّ وأرضاهُنَّ ـ اللَّهَ ورسولَه والدَّارَ الآخرة.

فجمع الله ـ تعالى ـ لهُنَّ ـ بعد ذلك ـ بين خير الدنيا، وسعادة الآخرة.

روى الإمامُ مسلم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ:

« دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لأَحَدٍ مِنْهُمْ.

قَالَ: فَأُذِنَ لأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا.

قَالَ: فَقَالَ: لأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ [1] عُنُقَهَا.

فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: « هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ ».

---

(1) أي طعنتُ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا.

وَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا.

كِلاَهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ ؟!

فَقُلْنَ: وَاللَّهِ، لاَ نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ.

ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا، أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ.

ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لاَ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ ».

قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَتَلاَ عَلَيْهَا الآيَةَ.

قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ ! بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ.

قَالَ: « لاَ تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلاَّ أَخْبَرْتُهَا؛ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا ».[1]

كُلُهُنَّ اخترنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة.

قال عكرمة: وكان تحته ـ يومئذ ـ تسع نسوة..

خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة

(1) مسلم : كتاب الطلاق.

ـ رضي الله عنهن ـ.

وكان تحته ﷺ صفيه بنت حيي النضرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين.

وفي اختيارهن ما اخترنَ ـ وفرح الرسول ﷺ بما اخترنَ، بيانٌ لما يجب أن يُؤْثَرَ دائماً ويُطلب، وفيه تبصرة وتذكرة لمن خاف مقام ربِّه، ونهى النفسَ عن الهوى.

ثانياً: أن الرسول ﷺ ـ وهو يُخَيِّرُ نساءَهُ ـ يعلم ما هو أفضل لهنَّ.

لكنَّه ترك ذلك لاختيارهنَّ، حيث اخترنَ وهُنَّ يعلمنَ عِظَمَ ما اخترنَ.

وكانت حياتهنَّ مع رسول الله ﷺ، بل حياة الرسول معهنَّ كما قالت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ: « لم يمتلئ جوف النبيِّ ﷺ شَبَعاً، ولم يبُث شكوى إلى أحد، وكانت الفاقةُ هي أحبُّ إليه من الغنى، وإن كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع، فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء لسأل ربَّه جميع كنوز الأرض وثمارها، ورغدَ عيشها، ولقد كنتُ أبكي؛ رحمةً له مِمَّا أرى به، وأمسح بيدي على بطنه؛ مِمَّا أرى به من الجوع، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلَّغت من الدنيا بما يقوتُك ؟

فيقول: « يا عائشة، ما لي وللدنيا، إخواني ـ من أُولي العزم من الرسل ـ صبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم، فَقَدِموا على ربِّهم، فأكرم مآبهم، وأجزل ثوابَهم، فأجدني أستحي ـ إن تَرفت في

معيشتي ـ أن يُقَصِّرَ بي غَداً دونهم، وما من شيء هو أحب إليَّ من اللحوق بإخواني وأخلائي ».

قالت: فَمَا أقام بعد إلاَّ شهراً حتَّى تُوفِّي ﷺ ».

ثالثاً: إنَّ نساءَ النبيِّ ﷺ قد أُمِرْنَ أن يذكرنَ ما يُتلى في بيوتهنَّ من آيات الله والحكمة.

فماذا صنعت آيات الله في زوجات النبي، وهُنَّ يسمعنَ ما يُتلى من آيات الله ؟

وماذا صنعت الحكمةُ فيهنَّ، وهُنَّ يبصرنها قولاً وعملاً في حياة رسول الله ؟

عن أُمِّ ذَرَّةٍ ـ وكانت تغشى عائشةَ ـ قالت:

بعث إليها ابنُ الزبير بمالٍ في غرارتين. قالت: أَراه ثمانين ومائة ألف.

فدَعَتْ بطبق ـ وهي يومئذ صائمة ـ فجلست تُقسِّمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم.

فلما أمست قالت: يا جارية، هَلُمِّي فطرى. فجاءتها بخبزٍ وزيت.

فقالت لها أُمُّ ذَرَّة: أَمَا استطعتِ ـ مِمَّا قَسَّمتِ اليومَ ـ أن تشتري لنا بدرهم لحماً نُفطر عليه ؟!

فقالت لها: « لا تُعنفيني، لو كنتِ ذكرتيني لفعلتُ ».[1]

وعن عروة قال: لقد رأيتُ عائشةَ تُقسم سبعين ألفاً، وهي ترقع دِرْعَهَا.

---

(1) حلية الأولياء: ٢/٤٧.

تلك قدوة عائشة ـ وقد جاءتها الدنيا طائعة ـ برسولِ الله ﷺ.

لم تُبق لنفسها ـ ومعها جاريتها ـ درهماً واحداً تشتري به لحماً تُفطر عليه. وقالت لجاريتها حين لامَتْهَا: « لا تُعنفيني، لو كنتِ ذكرتيني لفعلت » وأفطرت بخبزٍ وزيت !!

وذلك موقفها بين يدي الله، وتأثير القرآن فيها.

عن القاسم قال: كنت إذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة، أُسلِّم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تُسبِّح، وتقرأ: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، وتدعو وتبكي وتُرددها، فقمتُ حتى مللتُ القيامَ، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تُصلِّي وتبكي.

ولم يكن تأثير القرآن في عبادتها وإنابتها لربِّها فحسب، بل كان له تأثيره في فقهها وبلاغتها.

عن عروةَ، عن أبيه، قال: « ما رأيتُ أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضةٍ، ولا بحلالٍ ولا بحرامٍ، ولا بشِعرٍ، ولا بحديثِ العرب، ولا بنَسَبٍ، من عائشة ».[2]

كتبت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ إلى معاوية تقول: « أما بعد، فإنَّ

---

(1) الطور: ٢٨.

(2) حلية الأولياء: ٢/٤٩.

العبدَ إذا عمل بمعصية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عاد حَامِدُهُ من الناس ذَاماً ».[1]

وعن إبراهيم، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: « إنكم لن تلقوا الله بشيءٍ خيرٍ لكم من قِلَّةِ الذنوب. فمَن سَرَّهُ أن يَسْبِقَ الدَّائبَ المجتهدَ، فليكُفَّ نفسَهُ عن كثرة الذنوب ».[2]

إنَّ زوجات الرسول ﷺ خُيرن فاخترنَ الله ورسولَه والدارَ الآخرةَ.

اخترن ذلك عن إيمانٍ ورضىً ويقينٍ، وهُنَّ يعرفنَ فَضْلَ ما اخترنه.

فَمَعَ مَا وَسَّع الله من الرزق، وأكثر من الخير، لم يأخُذْنَ منه شيئاً لأنفسهن.

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ:

« كانت زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ هِيَ الَّتِي تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ.

فَلَمْ أَرَ امْرَأَةً خَيْرًا، وَلاَ أَكْثَرَ صَدَقَةً، وَلاَ أَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَبْذَلَ لِنَفْسِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ مِنْ زَيْنَبَ ..... ».[3]

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ « أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ اجْتَمَعْنَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: أَيَّتُنَا بِكَ أَسْرَعُ لُحُوقًا ؟

فَقَالَ: « أَطْوَلُكُنَّ يَدًا »

فَأَخَذْنَ قَصَبَةً، فَجَعَلْنَ يَذْرَعْنَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَسْرَعَهُنَّ بِهِ لُحُوقًا،

---

(1) اقتبسته من قول الرسول ﷺ : « مَن طلب محامد الناس بمعاصي الله، عاد حامده من الناس ذامًّا » راجع: مسند الشهاب ٢٩٩/١.

(2) اقتبسته من قول الرسول ﷺ: « مَن أحبَّ أن يسبق الدَّائبَ المجتهدَ، فليكف عن الذنوب » راجع: حلية الأولياء ٤٠٠/١٠، وقال: غريب، تفرَّد به يوسف عن عطاء.

(3) النسائي: كتاب عِشْرة النساء.

فَكَانَتْ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ الصَّدَقَةِ ».[1]

وفي رواية أنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: « فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ؛ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ ».[2]

اخترنَ ـ جميعهن ـ وصَدَقْنَ فيما اخترنَ، فلم تستطع الدنيا ـ وقد فُتحت على المسلمين ـ أن تُغيرهُنَّ عمَّا اخترنَ، أو تبعدهُنَّ عمَّا آثرنَ.

روى أحمدُ عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصةُ لعمر ـ رضي الله عنه ـ: « يا أمير المؤمنين، لو اكتسيتَ ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلتَ طعاماً هو أطيب من طعامك؛ فقد وسَّع الله من الرزق، وأكثر من الخير ».

فقال: « سأخاصمك إلى نفسك. أمَا تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش، وكذلك أبو بكر ؟ »

فما زال يذكرها حتَّى أبكاها.

فقال لها: « أَمَا والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد؛ لعلي أدرك عيشهما الرَّخي ».[3]

إنَّ حفصةَ ـ رضي الله عنها ـ تسأل عمرَ أن يكتسيَ ثوباً ألين من ثوبه، وأن يأكل طعاماً أطيب من طعامه، بعد أن وسَّع الله من الرزق، وأكثر من الخير، فخاصمها إلى نفسها، فَخَصَمَهَا حين ذكَّرها بحياة رسول الله ﷺ، وما كان فيه من شدة العيش.

---

(1) النسائي: كتاب الزكاة.

(2) مسلم: كتاب فضائل الصحابة.

(3) رواه الحاكمُ في المستدرك: ١/٢١١، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما.

نفوسٌ اعتزت بربِّها فأعزَّها الله.

ولم تستطع الدنيا ـ بفتنتها وزينتها ـ أن تصرفهم عن زُهدهم فيها وابتغائهم مرضات الله.

❊ ❊ ❊